المحاضرة الرابعة

آيات القرآن الكريم, سورة الفجر أنموذجًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾.

في ظلال السورة

١ – سورة الفجر سورة مكية آياتها ثلاثون آية.

٢ – ذكرت السورة المباركة قصص بعض الأمم التي كذبت رسل الله كقوم عاد، وثمود، وقوم فرعون وبينت ما حصل بهم من العذاب والطغيان بسبب طغيانهم.

٣_ بيئت سنّة الله تعالى في ابتلاء العباد في هذه الحياة بالخير والشر، والغنى والفقر، وطبيعة الإنسان في حبه الشديد للمال.

٤_ بينت الآخرة، وأهوالها، وانقسام الناس يوم القيامة إلى سعداء، وأشقياء، وبيان مال النفس الشريرة، والنفس الكريمة الخيرة.

الشرح والتفسير

اللغة: (حجر) عقل ولب العرب تقول: إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه، ضابطاً لها، وأصل (الحجر) المنع وسمي العقل حجراً، لأنه يمنع عن الطيش، والسفه.

(جابوا): قطعوا، ومنه فلان يجوب البلاد ليلاً، أي: يقطعها.

(التراث): الميراث.

(لما): شديداً، وأصله: الجمع ومنه قولهم لم الله شعثه.

(جماً): كثيراً، عظيماً كبيراً.

الآيتان الأولى والثانية: (والفجر وليال عشر) أقسم الله تعالى بالفجر لما فيه من خشوع القلب في حضرة الرب. وبالليالي العشر المباركة وهي عشر ذي الحجة لأنها أفضل أيام السنة. وقيل: هي العشر الأخيرة من رمضان، لأن فيها ليلة القدر.

الآية الثالثة: (والشفع والوتر) هو قسم بكل شيء، لأن الأشياء إما زوج، وإما فرد أو هو قسم بالخلق والخالق فإن الله تعالى واحد (وتر) والمخلوقات ذكر

وأنثى (شفع).

الآية الرابعة: (والليل إذا يسر) أقسم بالليل إذا يمضي بحركة الكون العجيبة والتقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة، ووفور النعمة.

الآية الخامسة: هل في ذلك قسم لذي حجر) أي: هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذي لب وعقل ؟! فالاستفهام تقريري، لفخامة شأن الأمور المقسم بها، أي إن هذا القسم عظيم عند ذوي العقول والألباب، فصاحب العقل يعلم أن ما أقسم الله عز وجل به من هذه الأشياء فيها عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهذه الأشياء حقيق أن نقسم بها لدلالتها على عظمة الخالق وقدرته، وجواب القسم محذوف تقديره: (ورب هذه الأشياء ليعذبن الكفار).

الآية السادسة: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد)؟ أي ألم يبلغك يا محمد ويصل إلى علمك ماذا فعل الله بعاد قوم هود؟

الآية السابعة: (إرم ذات العماد) أي: عاد الأولى أهل (إرم) ذات البناء الرفيع الذين كانوا يسكنون بالأحقاف بين عمان وحضرموت.

الآية الثامنة: (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي: تلك القبيلة التي لم يخلق الله مثلهم في قوتهم، وشدتهم، وضخامة أجسامهم أو الغرض من ذلك تخويف أهل مكة بما صنع تعالى بعاد، وكيف أهلكهم وكانوا أطول أعماراً وأشد قوة من كفار مكة

الآية التاسعة: (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أي: وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال ونحتوا بيوتاً بوادي القرى، وكانت مساكنهم من الحجر بين الحجاز وتبوك قبيلة (ثمود) هي أول قبيلة نحتت الجبال والصخور والرخام وكانوا لقوتهم يُخرجون الصخور وينقبون الجبال فيجعلونها بيوتاً لأنفسهم وقد بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بوادي القرى.

الآية العاشرة: (وفرعون ذو الأوتاد) أي: وكذلك فرعون الطاغية الجبار ذي الجنود، والجموع، والجيوش التي تشد ملكه وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم أو لتعذيبه بالأوتاد.

الآية الحادية عشرة: الذين طغوا في البلاد) أي: أولئك المتجبرين (عاداً وثمود وفرعون الذين تمردوا وعتوا عن أمر الله وجاوزوا الحد في الظلم والطغيان.

الآية الثانية عشرة: (فأكثرو فيها الفساد) أي: فأكثرو في البلاد الظلم، والجور، والقتل. وسائر المعاصي والآثام.

الآية الثالثة عشرة: (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي: فأنزل عليهم ربك ألواناً شديدة من العذاب بسبب طغيانهم وإجرامهم. فأهلكت (عاد) بالريح و(ثمود) بالصيحة و (فرعون) وجنوده بالغرق.

الآية الرابعة عشرة: (إن ربك لبالمرصاد) أي: إن ربك يا محمد ليرقب عمل الناس ويحصيه عليهم، فالمراد أنه تعالى رقيب على كل إنسان ولا يفوته أحد من الجبابرة، ولا الكفار. وفي ذلك تهديد لكفار قريش.

الآية الخامسة عشرة: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) أي: إذا اختبره، وامتحنه ربه بالنعمة (فأكرمه ونعمه أي أكرمه بالغنى واليسار وجعله ذا نعمة في الدنيا كالبنين، والجاه، والسلطان فيقول ربي أكرمني) أي فيقول ربي أحسن إلي وأعطاني ما أستحق من النعم ولا يدري هذا ابتلاء له أيشكر أم يكفر ؟

الآية السادسة عشرة: (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أي: وأما إذا ما اختبره وابتلاه بالفقر وتضييق الرزق فيقول ربي أهانني) أي: فيقول غافلاً عن الحكمة: إن ربي أهانني بتضييقه الرزق علي.

الآية السابعة عشرة: كلاً بل لا تكرمون اليتيم) أي: فليس الإكرام بالغنى ولا الإهانة بالفقر بل الإكرام والإهانة بطاعة الله، ومعصيته لكنكم لا تعلمون، وإنكم مع كثرة أموالكم لا تطعمون اليتيم، وهو شر من ذلك.

الآية الثامنة عشرة ولا تحاضون على طعام المسكين) أي: لا يحض بعضكم بعضاً ولا يحثه على إطعام المحتاج، وإعانة المسكين.

الآية التاسعة عشرة: وتأكلون التراث أكلاً لما) أي: تأكلون الميراث أكلاً شديداً، ولا تسألون أمن حلال هو أم من حرام؟ وهذا يعني أن الإنسان يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره

الآية العشرون: (وتحبون المال حباً جما) أي حباً كثيراً مع الحرص عليه وشدة الشره فيه.

الآية الحادية والعشرون: كلا اذا دكت الأرض دكا دكا) (كلا) حرف جواب يفيد الردع أي: ارتدعوا أيها الغافلون عن ذلك فأمامكم أهوال عظيمة يوم تزلزل الأرض وتحرك تحريكاً متتابعاً.

الآية الثانية والعشرون: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) أي: وجاء ربك يا محمد لفصل القضاء بين العباد وجاءت الملائكة صفوفاً متتابعة وهو يوم تقوم الخلائق من قبورهم لربهم.

الآية الثالثة والعشرون: (وجيء يومئذ بجهنم) أي: وأحضرت جهنم ليراها المجرمون، (يومئذ يتذكر الإنسان) أي في ذلك اليوم العصيب يتذكر الإنسان عمله ويندم على تفريطه وعصيانه، ويريد أن يتوب وأنى له الذكرى) أي: من أين يكون له الانتفاع بالذكرى وقد فات أوانها ؟!

الآية الرابعة والعشرون: يقول يا ليتني قدمت لحياتي) أي: يقول نادماً متحسراً يا ليتني قدمت عملاً صالحاً ينفعني لآخرتي.

الآية الخامسة والعشرون: فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي: في ذلك اليوم ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه.

الآية السادسة والعشرون: (ولا يوثق وثاقه أحد) أي : ولا يقيد أحد بالسلاسل والأغلال مثل تقييد الله للكافر الفاجر.

الآية السابعة والعشرون: (يا أيتها النفس المطمئنة) أي: يا أيتها النفس الزكية المطمئنة بوعد الله التي لا يلحقها اليوم خوف ولا فزع.

الآية الثامنة والعشرون: ارجعي إلى ربك راضية مرضية) أي: ارجعي إلى رضوان ربك وجنته راضية بما أعطاك الله من النعم مرضية عنده بما قدمت من عمل.

الآية التاسعة والعشرون: فادخلي في عبادي) أي: فادخلي في زمرة الصالحين من عبادي.

الآية الثلاثون: (وادخلي جنتي) أي : وادخلي جنتي، دار الأبرار الصالحين.